
دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

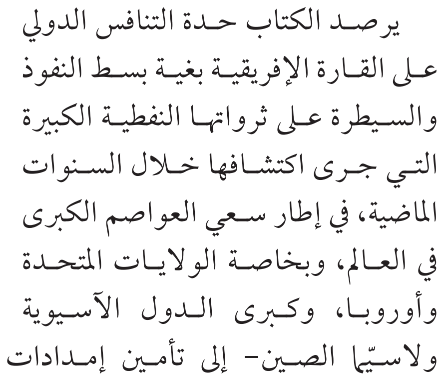
# التكالب على نفط إفريقيا

**Untapped: The Scramble for Africa's Oil**


**جون جازفينيان**

John Ghazvinian

**مراجعة: حسين عباس** - Reviewed by Hussein Abbas

يرصد الكتاب حدة التنافس الدولي على القارة الإفريقية بغية بسط النفوذ والسيطرة على ثرواتها النفطية الكبيرة التي جرى اكتشافها خلال السنوات الماضية، في إطار سعي العواصم الكبرى في العالم، وبخاصة الولايات المتحدة وأوروبا، وكبرى الدول الآسيوية ولاسيّما الصين- إلى تأمين إمدادات الطاقة، وتنويع مصادرها، آخذة في الحسبان التطورات الجيوستراتيجية في العالم.

ظلت صورة إفريقيا مرتبطة في أذهان العالم الغربي بأنها موطن الذباب والغبار والأطفال الجنود، ووصفها رئيس وزراء بريطانيا الأسبق توني بلير في عام 2001 بأنها "ندبة في ضمير العالم"، كما وصفها الرئيس الأمريكي السابق جورج دبليو بوش في العام نفسه بأنها "دولة" يتفشى فيها المرض... لكن مع ذلك كله يذكر الكتاب أن (إفريقيا) أصبحت في بؤرة صنع السياسات العالمية؛ لاحتمال أن تكون مصدرًا موثوقًا به لتلبية احتياجات السوق العالمي من النفط والغاز.

ويرصد الكتاب الصادر باللغة الإنكليزية، والمكوّن من مقدمة وتصدير وستة فصول وخاتمة- أسباب تحوّل القوى العالمية الكبرى نحو القارة السوداء... منها إمكانية الحصول على مساحات




تنقيب تصل في حجمها إلى نحو مساحة دولة أوروبية مثل فرنسا من خلال مزاد، كما أن حكومات دول القارة تفتقر إلى الخبرة والقدرة الفنية التي تمكنها من فرض القيود المرهقة على نشاط الحفر المسبب لمشكلات بيئية.

ويقول الكتاب المكوّن من 376 صفحة كبيرة، الذي ترجمه إلى العربية أحمد محمود، وأصدره المركز القومي للترجمة بالقاهرة في مطلع عام 2014: إن إفريقيا رغم ما اعتراها من عدم الاستقرار والفساد والعنف السياسي، إلا أن المطارات الكبرى في العالم تشهد مغادرة وفود كبرى تمثل حكومات دول وشركات كبرى متجهة صوب القارة السمراء، لزيادة حصتها من النفط والغاز.

ويقدّر الكتاب استثمارات صناعة النفط في إفريقيا بنحو 70 مليار دولار منذ مطلع التسعينيات من القرن الماضي وحتى نهاية العقد الماضي.

ويسود اعتقاد أن إفريقيا التي تضم 54 دولة و2000 مجموعة عرقية و3000 لغة تحتوي وفق أحسن التقديرات على نحو 10٪ من احتياطيات النفط في العالم، ومن غير المرجح أن تحل مكان الشرق الأوسط في إنتاج النفط، ولكن الكتاب يرصد عددًا من الأسباب توضح سبب الاهتمام الدولي بالقارة السمراء.

وتتضمن هذه الأسباب صفة النفط نفسه، فنوعية الخام الموجود في خليج غينيا من النوع الخفيف الذي يسهل تكريره، وأرخص من خام الشرق الأوسط، وهو الذي تستهويه معامل التكرير الأمريكية والأوربية التي يتعين عليها الامتثال لقوانين البيئة.

وتشمل عوامل جاذبية النفط الإفريقي الطبيعة الجغرافية للقارة، فهي محاطة بالماء من كل الجهات تقريبًا، وهذا يقلّل إلى حدّ بعيد التكاليف والمخاطر المتصلة بالنقل، حيث يسهل استخدام المسارات البحرية الحالية من أجل التوصيل السريع والرخيص من دون قلق استخدام قناة السويس مثلًا، أو مدّ خطوط أنابيب باهظة التكلفة في بلدان لا يمكن التنبؤ بظروفها السياسية، مثل نقل مصادر الطاقة من منطقة بحر قزوين، أو دول آسيا الوسطى إلى أوروبا.

وتوفر إفريقيا بيئة تعاقدية مواتية، بخلاف السعودية مثلًا التي تحتكر فيها شركة أرامكو المملوكة للدولة حق التنقيب عن النفط الخام في البلاد وإنتاجه وتوزيعه، بينما يعمل معظم بلدان إفريقيا جنوب الصحراء على أساس ما يسمى باتفاقيات المشاركة في الإنتاج، حيث تمنح الشركة الأجنبية رخصة التنقيب عن النفط شريطة أن تتحمل التكلفة الأولية الخاصة بالتنيقب والإنتاج.

وأكبر سمة يثير شهية الشركات الأجنبية تجاه النفط الأفريقي، هو أن معظم الاكتشافات التي جرت مؤخرًا كانت في البحر، بعيدًا عن اليابسة، وهذا يبعدها عن أخطار اندلاع أعمال عنف أو حرب أهلية.

الكتاب يتميز بوفرة المعلومات وغزارتها، وعرضها بأسلوب سهل شائق استنادًا إلى مئات المقابلات والمناقشات مع أشخاص من أنحاء إفريقيا وأوروبا والولايات المتحدة.

واعتمد المؤلّف جون جازفنيان الصحفي والمؤرخ الأمريكي الذي ولِد في إيران ونشأ في لندن ولوس أنجليس تايمز في الحصول على معلوماته التي أوردها– على الكتب، وتقارير المنظمات غير الحكومية، ومئات المقالات من دوريات المهنة والصحف والمجلات، وصحافة الإنترنت، والمقالات العلمية، والمنشورات الرسمية من الجهات الدولية.

ويؤكد الكتاب أن النفط الإفريقي أرخص من نفط منافسيه، وأنه أكثر منه أمانًا، والوصول إليه أسهل، وهناك المزيد منه. وبينما يشير الكتاب إلى أن إفريقيا ربما لا يكون بمقدروها منافسة منطقة دول الخليج إلا أن لديها ما يكفي لجعلها منطقة مهمّة محتملة، يمكن أن تدفع بإنتاج يكفي للحفاظ على هدوء أسواق النفط، عندما لا يمكن توقع الواردات من مناطق أخرى في العالم.

ويوضح الكتاب أن تنويع مصادر النفط لدى الولايات المتحدة يشكل هدفًا، بل هوسًا منذ أزمة النفط، إبان حرب 6أكتوبر/ تشرين الأول 1973، كما اكتسب السعي لتوزيع محفظة أمن الطاقة الأمريكي أهمية جديدة منذ أحداث 11سبتمبر/ أيلول 2001، حتى إن الرئيس الأمريكي السابق جورج دبليو بوش قال في خطاب الاتحاد في يناير/ كانون الثاني 2006: إنه يريد الحدّ من اعتماد بلاده على نفط الشرق الأوسط بنسبة ٪75 بحلول عام 2025.

ويكشف الكتاب الذي سبر غور القارة الإفريقية، وتطورات اكتشاف النفط في الكثير من دولها– عن مفارقة شديدة للغاية، وهي أن النفط كان بمثابة نعمة للدول الإفريقية، ونقمة في الوقت نفسه، مشيرًا إلى أن إحدى فضائح انتعاش النفط الإفريقي تتمثل في خلق فرص عمل في الولايات المتحدة وأوروبا أكثر من خلقها في القارة السمراء.

ويفجـر الكتـاب مفاجأة من العيـار الثقيل تفيد أن ٪5 فقـط من قيمة المليارات التي تسـتثمرها الشركات العالميـة الكبرى في مشروعات النفـط الإفريقية- يُنفَق سـنويًّا في إفريقيـا! ويوضـح أن التنقيـب عـن النفـط بطبيعته رأس مال لا كثافة العمالة.

وأصبحـت الاقتصـادات الإفريقيـة تعتمـد عـلى عائدات النفط، حيث تمثل الصناعات الاسـتخراجية، مثل النفـط والغاز والتعدين نحو ٪50 من الصادرات الإفريقية، و٪65 من الاسـتثمار الأجنبـي المباشر، منذ فترة التسعينيات.

والتقديـرات التـي تشـير إلى أن عـشرات مليارات الـدولارات تتدفق إلى خزائن الـدول الإفريقية بفضل عائـدات النفـط- توجـب على حـكام تلك الـدول أن يدركوا أن النفط نعمة لا نقمة.

ولا تـزال صـورة الاسـتعمار القبيـح، ومـا فعلـه بالقارة السـمراء في نهاية القرن التاسع عشر حاضرة في الأذهان بقوة، إبان "التكالب الثاني على إفريقيا"، حيث يسـهل على الشخص حاليًّا أن يرى بأم عينيه الشركات الوافدة مـن كل حدب وصوب ومن مختلف الأجناس والديانات: الصينيـة والماليزية والأمريكية والفرنسـية والأسـترالية، وهـي تخـوض سـباقًا قاسـيًا لانتـزاع مساحات التنقيب عن الذهب الأسود.

ويبرز الكتاب نهم الصين، ثاني أكبر اقتصاد في العالم حاليًّـا، لالتهام أكبر حصة من النفـط الإفريقي، حيث أبـدت بكين اسـتعدادها لتقديم حوافـز نقدية كبيرة في ضمانات القروض مقابل الحصول على امتيازات النفط المربحة في إفريقيا.

وتسـود توقعـات بأن تحصل الصـين على ٪60 من احتياجاتها مـن الطاقة من الخارج بحلول عام 2020، يعنـي أنها سـتكون بحاجة لاسـتيراد ما بـين 10- 15 مليـون برميـل من النفـط يوميًّـا، وهذا يفـوق الإنتاج السعودي حاليًّا.

ويذكـر الكتاب أن النفط الإفريقي كان يمثل ٪17 من واردات الصين في عام 1997، وارتفع إلى ٪28.7 في عـام 2004، ليواصـل الارتفاع بمرور السـنوات، الأمر الذي سـيجعل أهميـة إفريقيا للصـين من منظور أمن الطاقة أكبر من أهميتها بالنسبة للولايات المتحدة.

وينبه الكتاب دعاة حقوق الإنسان إلى أن "الكثير مـن التسـويات المهلكـة التـي تمـت مـع الحـكام غير الديمقراطيـين وغـير المحبوبـين في الشرق الأوسـط تجـري إعادتـه في كل أنحـاء إفريقيـا، مـع احتمال أن يكون لذلك نتائـج مفجعة"، وفي مقدمتها صراعات يحركهـا وعـد الثـراء للطـرف الأقوى داخـل الدولة الواحـدة.